Didactique du Français

Semestre: 2

مادة اللغة العربية
تحليل الخطاب الروائي
(التطبيق)

الأستاذ رضوان بوخالدي

الجزء الثاني

البنية التركيبية والدلالية

في

رواية «شيفرة بلال»

للروائي:

أحمد خيري العمري

2- المستوى الزمني

لا يستغني السرد عن عنصر الزمن، إذ هو في الأصل أحداث مرتبة في الزمن حسب قصدية السارد. وإذا كان كل سرد يقوم على دعامتين أساسيتين هما: القصة والخطاب، فإن لكل منهما زمنه الخاص.

زمن الخطاب خطي، يجبر السارد على تقديم حدث تلو آخر، وهو ما يخضع له المتلقي أيضا، الذي عليه أن يقرأ الصفحات متتابعة، وإلا صارت القراءة تصفحا واختل التواصل الأدبي. أما زمن القصة فهو متعدد الأبعاد، حيث يمكن أن تجري العديد من الأحداث متزامنة في وقت واحد. (G.Genette: Figures III, p: 83)

بناء على ذلك يتبع السارد استراتيجية زمنية للحكي، وهي التي تتحكم في الترتيب الزمني للمحكي، إما تصاعديا كما هو الحال في الحكايات الشعبية والشفوية، أو في السيرة ذاتية كانت أو غيرية. وإما تنازليا كما نجد في أغلب الروايات البوليسية، أو تلك التي تطغى عليها الأبعاد النفسية. كما يمكن أن يستثمر السارد التقنيتين معا، فنكون أمام استراتيجية متقطعة تقوم على المفارقات الزمنية في اتجاه الماضي تارة، وفي اتجاه المستقبل تارة أخرى.

نخلص إلى الطبيعة المتميزة لعنصر الزمن داخل الجنس الروائي، حيث لا ينظر إليه باعتباره وعاء للأحداث فقط، إنما يتخذ طابعا إبداعيا يفتح فعل السرد على اختيارات ذات أبعاد فنية وجمالية متعددة.

2-1- علاقات الترتيب:

أ- التقطيع:

«شيفرة بلال» رواية من القطع المتوسط، تقع في 380 صفحة، للروائي العراقي، والطبيب الشاب أحمد خيري العمري.

تعكس الرواية نمط الحياة الغربية، وخصائص الثقافة الأمريكية. وفي خضم ذلك يستعرض السارد حيوات ثلاث شخصيات رئيسية، بلال الصغير المولود لأم أمريكية، وأب ذي أصول عربية. وأمجد الأمريكي الولادة والنشأة، لكنه من أصول عربية، فأبوه مصري وأمه مغربية.

تلتقي قصص هذه الشخصيات الثلاث في علاقتهم بسيناريو فيلم أمريكي يحمل عنوان «بلال»، ليمجد قيم العدالة والتحرر من العبودية.

ينقسم متن الرواية إلى ثلاثة وستين فصلا، تحمل أغلب عناوينها أسماء شخصيات الرواية: بلال، لاتيشا، أمجد.

ب- التأطير:

ويقصد به الإطار الزمني، أو الغلاف الزمني الذي تستغرقه سيرورة الأحداث، أي التتابع المنطقي للحالات والتحولات التي تؤدي إلى نمو الحدث من بدايته إلى نهايته.

بصدد رواية «شيفرة بلال» يبتدأ الإطار الزمني للقصة من مراسلة بلال النيويوركي لأمجد على بريده الإلكتروني، وإلى غاية قراءة لاتيشا أم بلال لرسالته الأخيرة التي نزلت على مدونته، وذلك بعد شهرين من وفاته.

امتدت القصة إذن سنة وشهرين، ويستفاد ذلك من ثلاثة مؤشرات زمنية:

1. افتتاح بلال رسالته الأولى لأمجد بقوله: «إسمي بلال... عمري ثلاثة عشر عاما...» ص:7.
2. قول لاتيشا في يوم موت بلال: «...في السنوات القادمة، سأعيد سنواتي الأربع عشرة معه بالتصوير البطيء...» ص: 367.
3. صدور تعليقات كثيرة ومفاجئة على مدونة (شيفرة بلال) إثر نزول آخر رسالة لبلال كان قد برمجها لكي تنزل بعد وفاته. «بعد شهرين من وفاة بلال ...» ص: 372.

ج- المفارقات الزمنية:

يقول ج.جنيت:

«كل مفارقة زمنية، يمكنها أن تعود إلى الماضي، أو إلى المستقبل، وتكون بعيدة أو قريبة عن لحظة الحاضر، أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من أجل أن يفسح المجال لتلك المفارقة، إننا نسمي مدى المفارقة هذه المسافة الزمنية.

ويمكن للمفارقة أن تغطي هي نفسها مدة معينة من القصة تطول أو تقصر، وهذه المدة هي ما نسميه سعة المفارقة». (G.Genette: Figures III, p: 91)

إذا عادت المفارقة إلى الماضي سميت استرجاعا. أما إذا انتقلت المفارقة إلى المستقبل فتسمى استشرافا. كما يمكن للمفارقة أن تقع داخل الإطار الزمني فتسمى داخلية، ويمكن أن تسبقه أو تتجاوزه فتسمى خارجية.

ويمكننا تمثيل ذلك بالخطاطة التالية:

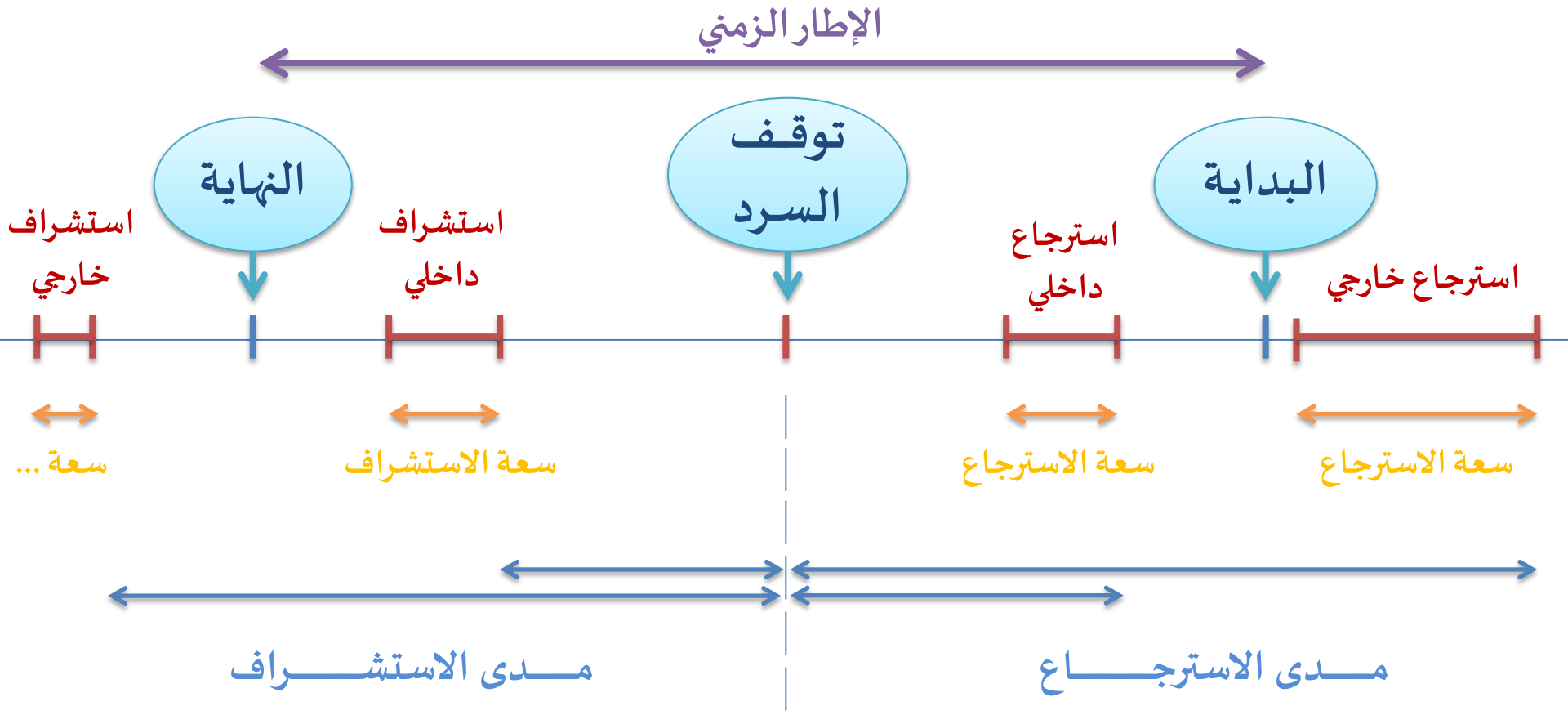
الإطار الزمني
النهاية
توقف السرد
البداية
استشراف خارجي
استشراف داخلي
استرجاع داخلي
استرجاع خارجي
سعة ...
سعة الاستشراف
سعة الاسترجاع
سعة الاسترجاع
مدى الاستشراف
مدى الاسترجاع

بصدد الرواية التي بين أيدينا، اعتمد السارد استراتيجية متقطعة قائمة على الاسترجاع والاستشراف كما يلي:

الاسترجاعات:

تغطي الأزمنة المستعادة مساحات متفاوتة من خطاب الرواية، غير أنها تهيمن على الفصول الثلاثة الأولى هيمنة شبه مطلقة كما يلي:

تتواتر الاسترجاعات في الفصل الأول من الرواية، وتهيمن على مجمل صفحاته (7/9)، إذن يمكننا أن نحدده باعتباره استرجاعا طويلا. ويتميز هذا الاسترجاع بالخصائص التالية:

موقع المفارقة: خارجي، لأنه يسبق الإطار الزمني، فتقع أحداثه قبل بدايته.

سعة المفارقة: سنوات من ماضي الشخصية الرئيسية «أمجد»، وهي عبارة عن ذكريات متفرقة تقوم بوظيفة إضاءة ماضي هذه الشخصية، من خلال زمن مستعاد يتضمن الأحداث التالية:

- التعثر في رسالة الدكتوراه خمس سنوات.
- إكراهات الحياة المادية الأمريكية.
- طموحه إلى الشهرة الأكاديمية.

- تعرفه على «عبدول» الولوع بالسينما، والذي عرض عليه المشاركة في كتابة سيناريو فيلم عن بلال الحبشي.
- ظروف ولادته وتعلمه العربية.
- قبوله عرض «عبدول» على مضض.
- الشعور بالتناقض وعدم جدوى البحث عن تفاصيل لا وجود لها، دفعاه إلى اتخاذ قرار الاستقالة.

مدى المفارقة: تغطي هذه الاسترجاعات زمنا طويلا يزيد عن ثلاثين سنة، أي عمر الشخصية من يوم ولادته إلى لحظة البداية.

تتخذ الاسترجاعات نفس الخصائص في الفصل الثاني «لاتيشا»، والذي يتحدد باعتباره زمنا مستعادا خالصا يصل مداه إلى أكثر من ثلاث عشرة سنة، غير أن سعته تمتد لتشمل لحظتين، استغرقت الأولى شهورا لتعكس طبيعة علاقة لاتيشا بسعيد وظروف ولادة بلال، أما اللحظة الثانية فامتدت أياما معدودة لتعكس المرض العارض لبلال ثم انكشاف الأمر عن داء عضال.

«في اللحظة التي ولد فيها بلال، فهمت أن حياتي قد تغيرت...» ص: 17.

«ولكن كانت هناك لحظة أخرى.. تغيرت فيها حياتي أيضا إلى الأبد. هذه المرة إلى أبد آخر.

حدث ذلك يوم عرفت بإصابة بلال بالسرطان.» ص: 20.

وكذلك الأمر بالنسبة للفصل الثالث «بلال»، فهو زمن مستعاد يمتد لأربع سنوات:

«بدأ الأمر في الصف الرابع...» ص: 24.

«مع الصف السابع، انضمت الفتيات إلى فريق السخرية...» ص: 27.

تقل الاسترجاعات بشكل ملحوظ مع بداية الفصل الرابع لصالح سرد اللحظة الحاضرة، فلا نجد إلا مقاطع معدودة تتخلل السرد.

استرجاعات خارجية:

«ماتت أمي وقبلها مات أبي، لم أعرف كيف أخفف عنهما بكلمة واحدة... حتى أثناء مراسيم الجنازة، لم أشعر بشيء تجاه المراسيم...» ص: 33.

استرجاع مهم في الفصل الخامس «لاتيشا»، يفسح المجال لإضاءة الطفولة القاسية للشخصية، وكذا طبيعة علاقتها بسعيد:

«نشأت أنا في سانت لويس... سيزيف كان الاسم الوسطي...» ص: 44.

«كان والدي عاطلا عن العمل طول الأوقات...» ص: 44.

«في وقت ما لقيت سعيدا...» ص: 45.

استرجاع مهم أيضا في الفصل العاشر «أمجد» عن نمط حياة والديه:

«لم يكن والدي مؤمنين أبدا. على الأقل على نحو تقليدي... أو أزمة آخر العمر، ربما» ص: 67-68.

«عندما كنت أعتقد أني ملحد، كنت بطريقة ما مرتاحا أكثر من حالة الشك التي أمر بها الآن. كنت قد قفلت الأمر. لا إله» ص: 171. «عندما كنت ملحدا كنت أقول...» ص: 256.

استرجاع بمدى قرون: «بدأ العرض.. تذكرت سفنا أخرى لابد أن جدي كان في واحدة منها، تذكرت كنتا كنتي...» ص: 200.

«أذكر أنني عندما كنت في الخامسة وأدركت أن لأغلب الأولاد آباء...» ص: 207.

استرجاع تسمية بلال على لسان أبيه السجين سعيد: «نعم عادت الدموع إلى عيون سعيد...» ص: 226-227.

استرجاعات داخلية:

«كان بلال قد أخبرني أنه راسل سيناريست...» ص: 41.

«تذكرت ما كتبه أمجد عن هذا الرجل المسن الذي قال سيجعل بلال قديسا...» ص: 120.

«كريستين هجرتني قبل ثلاثة أيام.
بالضبط قبل ست وستين ساعة.» ص: 124.

«في كل ما سبق، كنت أتحدث دون أن أشعر أنني أناقض نفسي... تحاشيت ذلك طول هذه المدة » ص: 169.

«قالت لي أمي يوم و افقت على مجيئي السجن... أمضي في طريقي» ص: 237.

«يومها وفي طريق العودة، كتبت أنت شيئا عن الأب...» ص: 252.

تقوم هذه الاسترجاعات المنتقاة بدقة عالية، والموظفة توظيفا محكما، بتسليط الضوء على محطات مهمة من حياة الشخصيات، وخاصة عمق الأزمات التي عاشتها هذه الشخصيات ودفعتها إلى اتخاذ قرارات تتصل بحاضرها. وذلك للوقوف على ما يفيد المسرود له في فهم سيرورة الأحداث الجارية داخل الإطار الزمني للحكاية.

تقل الاسترجاعات مع التوغل في أحداث اللحظة الحاضرة، دون أن تنتفي تماما، إذ يستدعيها خطاب الرواية كلما تعلق الأمر بانعكاسات قوية للماضي على حاضر الشخصيات، أو بتصفية حسابات قديمة ظلت عالقة.

يحضر الاسترجاع بقوة أيضا للتأشير على التغيرات العميقة التي حصلت للشخصيات الرئيسية، وذلك في إطار المقارنة بين ماض غابر وحاضر يتطور. يدل على ذلك اتساع مدى وسعة الاسترجاعات لتغطي ماضي الشخصيات ابتداء من تاريخ ولادتها، وكأنها بصدد مراجعة شاملة لكل مساراتها السابقة.

يتبع